بسم الله الرحمن الرحيم

«قِيمَةُ الِاحْتِرَامِ» ٢٠ رَجَبٍ ١٤٤٧هـ

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ النَّاظِرَ فِي نُصُوصِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ يُلَاحِظُ بِجَلَاءٍ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنْ حَثٍّ عَلَىٰ التَّوْقِيرِ وَالِاحْتِرَامِ فِي مُخْتَلِفِ صُوَرِهِ وَأَشْكَالِهِ. فَقَدْ أَمَرَتِ السُّنَّةُ بِحُسْنِ الْمُعَامَلَةِ وَالْبَشَاشَةِ، وَالْقَوْلِ الْحَسَنِ وَبَذْلِ السَّلَامِ، وَدَعَتْ إِلَىٰ تَهْذِيبِ اللِّسَانِ، وَالتَّحَلِّي بِالتَّسَامُحِ، وَنَبْذِ الْفُحْشِ وَالْبَذَاءَةِ حَتَّىٰ مَعَ غَيْرِ الْمُسْلِمِ، وَبِالْجُمْلَةِ فَهِيَ أَمْثِلَةٌ حَيَّةٌ وَصُوَرٌ مُشْرِقَةٌ لِمَعَانِي الِاحْتِرَامِ وَالتَّوْقِيرِ. أَخْرَجَ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا»، وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْبَدْرِيِّ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلَاةِ، وَيَقُولُ: «اسْتَوُوا، وَلَا تَخْتَلِفُوا؛ فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ، لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُو الْأَحْلَامِ وَالنُّهَىٰ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فَأَنْتُمُ الْيَوْمَ أَشَدُّ اخْتِلَافًا.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لِلسَّلَفِ فِي التَّوْقِيرِ وَالِاحْتِرَامِ أَقْوَالٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا:

- مَا ذَكَرَ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «السِّيَرِ»، عَنِ ابْنَ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: حَقٌّ عَلَىٰ الْعَاقِلِ أَنْ لَا يَسْتَخِفَّ بِثَلَاثَةٍ: الْعُلَمَاءِ وَالسَّلَاطِينِ وَالْإِخْوَانِ، فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَخَفَّ بِالْعُلَمَاءِ ذَهَبَتْ آخِرَتُهُ، وَمَنِ اسْتَخَفَّ بِالسُّلْطَانِ ذَهَبَتْ دُنْيَاهُ، وَمَنِ اسْتَخَفَّ بِالْإِخْوَانِ ذَهَبَتْ مُرُوءَتُهُ.
- وَذَكَرَ ابْنُ مُفْلِحٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْآدَابِ الشَّرْعِيَّةِ»، عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ عَنْ أَبِيهِ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: مِنَ السُّنَّةِ أَنْ يُوَقَّرَ أَرْبَعَةٌ: الْعَالِمُ، وَذُو الشَّيْبَةِ، وَالسُّلْطَانُ، وَالْوَالِدُ. وَذَكَرَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْجَامِعِ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ»، عَنْ سَهْلٍ التُّسْتَرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَظَّمُوا السُّلْطَانَ وَالْعُلَمَاءَ، فَإِذَا عَظَّمُوا هَذَيْنِ أَصْلَحَ اللهُ دُنْيَاهُمْ وَأُخْرَاهُمْ، وَإِذَا اسْتَخَفُّوا بِهَذَيْنِ أَفْسَدُوا دُنْيَاهُمْ وَأُخْرَاهُمْ.
- وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الصَّارِمِ الْمَسْلُولِ»: التَّوْقِيرُ: اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا فِيهِ سَكِينَةٌ وَطُمَأْنِينَةٌ مِنَ الْإِجْلَالِ وَالْإِكْرَامِ، وَأَنْ يُعَامِلَ مِنَ التَّشْرِيفِ وَالتَّكْرِيمِ وَالتَّعْظِيمِ بِمَا يَصُونُهُ

عَنْ كُلِّ مَا يُخْرِجُهُ عَنْ حَدِّ الْوَقَارِ.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ صُوَرَ التَّوْقِيرِ وَالِاحْتِرَامِ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا:

الْأَوَّلُ: تَوْقِيرُ الْمُسْلِمِ لِرَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعْظِيمُهُ بِمَا يَلِيقُ بِهِ. وَهَذَا التَّوْقِيرُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ يَنْتُجُ عَنْهُ احْتِرَامُ أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، وَتَعْظِيمُ دِينِهِ وَشَرْعِهِ، وَحِرْصُ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ التَّحَلِّي بِجَمِيلِ الصِّفَاتِ الَّتِي أَمَرَ بِهَا سُبْحَانَهُ، فَهَذَا التَّوْقِيرُ يُثْمِرُ الْخَيْرَ لِلْعَبْدِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَيُثْمِرُ التَّخَلُّقَ بِالْأَخْلَاقِ الَّتِي يَعُودُ أَثَرُهَا وَنَفْعُهَا عَلَىٰ النَّاسِ فِي مُعَاشَرَتِهِمْ وَالتَّعَامُلِ مَعَهُمْ. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ حِكَايَةً عَنْ نَبِيِّهِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ عِنْدَمَا كَفَرُوا بِهِ وَبِرِسَالَتِهِ: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ أَيْ: مَا لَكُمْ لَا تَرَوْنَ لِلَّهِ عَظَمَةً، وَقِيلَ: وَلَا تُعَظِّمُونَ اللهَ حَقَّ عَظَمَتِهِ، فَاسْتَخْدَمَ لَفْظَ الْوَقَارِ فِي مَعْنَىٰ التَّوْقِيرِ وَالتَّعْظِيمِ لِلَّهِ تَعَالَىٰ بِمَا يَلِيقُ بِهِ سُبْحَانَهُ مِنْ كَمَالِ التَّعْظِيمِ وَالتَّبْجِيلِ.

الثَّانِي: احْتِرَامُ وَتَوْقِيرُ الْمُسْلِمِ لِرَسُولِهِ ﷺ بِتَعْظِيمِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَاتِّبَاعِ آثَارِهِ، وَالسَّيْرِ عَلَىٰ طَرِيقَتِهِ. وَأَلَّا يُقَدِّمَ شَيْئًا عَلَىٰ مَا جَاءَ بِهِ ﷺ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ: أَيْ: تُعَزِّرُوا الرَّسُولَ ﷺ وَتُوَقِّرُوهُ، أَيْ: تُعَظِّمُوهُ وَتُجِلُّوهُ، وَتَقُومُوا بِحُقُوقِهِ، كَمَا كَانَتْ لَهُ الْمِنَّةُ الْعَظِيمَةُ بِرِقَابِكُمْ. وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ رَحِمَهُ اللهُ: اعْلَمْ أَنَّ حُرْمَةَ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَتَوْقِيرَهُ وَتَعْظِيمَهُ لَازِمٌ كَمَا كَانَ حَالَ حَيَاتِهِ، وَذَلِكَ عِنْدَ ذِكْرِهِ ﷺ، وَذِكْرِ حَدِيثِهِ وَسُنَّتِهِ، وَسَمَاعِ اسْمِهِ وَسِيرَتِهِ، وَمُعَامَلَةِ آلِهِ وَعِتْرَتِهِ، وَتَعْظِيمِ أَهْلِ بَيْتِهِ وَصَحَابَتِهِ. وَأَخْرَجَ أَبُو مُوسَىٰ الْمَدِينِيُّ فِي كِتَابِهِ «اللَّطَائِفِ مِنْ عُلُومِ الْمَعَارِفِ» عَنْ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ أَيُّوبَ رَحِمَهُ اللهُ، فَسَمِعَ لَغَطًا، فَقَالَ: مَا هَذَا اللَّغَطُ؟ أَمَا بَلَغَهُمْ أَنَّ رَفْعَ الصَّوْتِ عِنْدَ الْحَدِيثِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَرَفْعِ الصَّوْتِ عَلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ.

الثَّالِثُ: احْتِرَامُ أُولِي الْأَمْرِ وَتَوْقِيرُهُمْ. وَمِنْ مَظَاهِرِ احْتِرَامِهِمُ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لَهُمْ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، وَتَرْكُ التَّشْغِيبِ وَالْخُرُوجِ عَلَيْهِمْ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَىٰ مُخَالَفَةِ هَذِهِ الْأَوَامِرِ مِنْ إِحْدَاثِ

الْفِتْنَةِ بَيْنَ النَّاسِ، وَمَا قَدْ يُفْضِي إِلَيْهِ مِنَ الشُّرُورِ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾. قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ فِي «مَجْمُوعِ الْفَتَاوَىٰ»: وَأُولُو الْأَمْرِ أَصْحَابُ الْأَمْرِ وَذَوُوهُ، وَهُمُ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ، وَذَلِكَ يَشْتَرِكُ فِيهِ أَهْلُ الْيَدِ وَالْقُدْرَةِ وَأَهْلُ الْعِلْمِ وَالْكَلَامِ، فَلِهَذَا كَانَ أُولُوا الْأَمْرِ صِنْفَيْنِ: الْعُلَمَاءُ، وَالْأُمَرَاءُ. فَإِذَا صَلَحُوا صَلَحَ النَّاسُ وَإِذَا فَسَدُوا فَسَدَ النَّاسُ.

الرَّابِعُ: احْتِرَامُ وَتَقْدِيرُ الْعُلَمَاءِ وَإِنْزَالُهُمُ الْمَنْزِلَةَ اللَّائِقَةَ بِهِمْ لِمَكَانَتِهِمْ. وَمِنْ مَظَاهِرِ احْتِرَامِهِمُ التَّعَاوُنُ مَعَهُمْ عَلَىٰ الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ، وَالْحَذَرُ مِنْ قَدْحِهِمْ أَوِ الْوُقُوعِ فِي غِيبَتِهِمْ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾. قَالَ الْبَيْهَقِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: فَقَرَنَ اسْمَ الْعُلَمَاءِ بِاسْمِ الْمَلَائِكَةِ كَمَا قَرَنَ اسْمَ الْمَلَائِكَةِ بِاسْمِهِ، وَكَمَا وَجَبَ الْفَضْلُ لِلْمَلَائِكَةِ بِمَا أَكْرَمَهُمْ بِهِ، فَكَذَلِكَ يَجِبُ الْفَضْلُ لِلْعُلَمَاءِ بِمَا أَكْرَمَهُمْ بِهِ مِنْ مِثْلِهِ.

الْخَامِسُ: احْتِرَامُ وَتَوْقِيرُ طَلَبَةِ الْعِلْمِ الَّذِينَ سَلَكُوا سَبِيلَهُ وَسَعَوْا فِي تَحْصِيلِهِ. وَمِنِ احْتِرَامِهِمْ إِنْزَالُهُمْ مَنْزِلَةً تَلِيقُ بِهِمْ وَبِالْعِلْمِ الَّذِي يَطْلُبُونَهُ، دُونَ التَّنَقُّصِ مِنْهُمْ، أَوْ الِاسْتِخْفَافِ بِجُهْدِهِمْ، أَوِ الْحَطِّ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَلَوْ كَانُوا صِغَارًا، فَإِنَّمَا رَفَعَهُمُ الْعِلْمُ الَّذِي يَطْلُبُونَهُ. قَالَ السَّجْزِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «رِسَالَةٍ إِلَىٰ أَهْلِ زَبِيدٍ فِي الرَّدِّ عَلَىٰ مَنْ أَنْكَرَ الْحَرْفَ وَالصَّوْتَ»: فَالْمُتَّبِعُ لِلْأَثَرِ يَجِبُ تَقَدُّمُهُ وَإِكْرَامُهُ، وَإِنْ كَانَ صَغِيرَ السِّنِّ غَيْرَ نَسِيبٍ، وَالْمُخَالِفُ لَهُ يَلْزَمُ اجْتِنَابُهُ وَإِنْ كَانَ مُسِنًّا شَرِيفًا.

وَقَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي «مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ»: النَّبِيُّ ﷺ أَوْصَىٰ بِطَلَبَةِ الْعِلْمِ خَيْرًا، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِفَضْلِ مَطْلُوبِهِمْ وَشَرَفِهِ.

السَّادِسُ: احْتِرَامُ وَتَوْقِيرُ الْوَالِدَيْنِ. وَقَدْ أَكَّدَ الْإِسْلَامُ عَلَىٰ ضَرُورَةِ تَوْقِيرِ الْوَالِدَيْنِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا، وَالِاعْتِنَاءِ بِهِمَا وَلَوْ كَانَا كَافِرَيْنِ، وَحَرَّمَ الْإِسَاءَةَ إِلَيْهِمَا بِأَيِّ صُورَةٍ كَانَتْ وَجَرَّمَهَا. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا

مَعْرُوفًا﴾.

السَّابِعُ: احْتِرَامُ وَتَوْقِيرُ الْكَبِيرِ. فَقَدْ أَعْطَىٰ الْإِسْلَامُ الْكَبِيرَ حَقَّهُ مِنَ الشَّرَفِ وَالتَّقْدِيرِ وَالتَّوْقِيرِ، وَمِنْ مَظَاهِرِ احْتِرَامِهِ التَّوْسِعَةُ لَهُ فِي الْمَجْلِسِ وَتَقْدِيمُهُ، وَخَفْضُ الصَّوْتِ عِنْدَ التَّحَدُّثِ إِلَيْهِ، وَإِلَانَةُ الْقَوْلِ لَهُ وَإِكْرَامُهُ وَالشَّفَقَةُ عَلَيْهِ، وَالْبَدْءُ بِالسَّلَامِ عَلَيْهِ.

الثَّامِنُ: الِاحْتِرَامُ وَالتَّوْقِيرُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ. وَأَسَاسُ هَذَا الِاحْتِرَامِ أَنْ يَسْكُنَ كُلُّ طَرَفٍ إِلَىٰ شَرِيكِهِ، وَيُعَظِّمَ حَسَنَاتِهِ، وَيَتَغَاضَىٰ عَنْ سَيِّئَاتِهِ مَا أَمْكَنَ، وَأَنْ يَكُونَ أَسَاسُ تَعَامُلِهِمَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ، وَيُغَلِّبَا جَانِبَ الْمَوَدَّةِ وَالرَّحْمَةِ فِيمَا بَيْنَهُمَا عَلَىٰ مَا يَقَعُ مِنْ خِلَافَاتٍ قَلَّمَا يَخْلُو مِنْهَا بَيْتٌ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

التَّاسِعُ: احْتِرَامُ ظُرُوفِ النَّاسِ وَحَاجَاتِهِمْ، وَمُرَاعَاةُ مَرَضِ الْمَرِيضِ مِنْهُمْ. أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَىٰ رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي لَأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ مِنْ أَجْلِ فُلَانٍ، مِمَّا يُطِيلُ بِنَا، قَالَ: فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَطُّ أَشَدَّ غَضَبًا فِي مَوْعِظَةٍ مِنْهُ يَوْمَئِذٍ، قَالَ: فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّىٰ بِالنَّاسِ فَلْيَتَجَوَّزْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الْمَرِيضَ وَالْكَبِيرَ وَذَا الْحَاجَةِ»، وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَامَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْقَوْمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «دَعُوهُ وَلَا تُزْرِمُوهُ» قَالَ: فَلَمَّا فَرَغَ دَعَا بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَصَبَّهُ عَلَيْهِ.

الْعَاشِرُ: احْتِرَامُ الضُّعَفَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْخَدَمِ، وَحُسْنُ مُعَامَلَتِهِمْ، وَعَدَمُ الِاسْتِخْفَافِ بِهِمْ أَوِ الْإِسَاءَةِ إِلَيْهِمْ. أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ الْمَسْجِدَ - أَوْ شَابًّا - فَفَقَدَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَسَأَلَ عَنْهَا - أَوْ عَنْهُ - فَقَالُوا: مَاتَ، قَالَ: «أَفَلَا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي» قَالَ: فَكَأَنَّهُمْ صَغَّرُوا أَمْرَهَا -أَوْ أَمْرَهُ- فَقَالَ: «دُلُّونِي عَلَىٰ قَبْرِهِ» فَدَلُّوهُ، فَصَلَّىٰ عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَىٰ أَهْلِهَا، وَإِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ».